

خصوصية الاصطلاح في المذهب المالكي

الدكتورة. عفيفة خروبي، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر

كان الإمام مالك من أثبت الناس وأوثقهم إسنادا في حديث أهل المدينة عنه عليه السلام فسمي - إمام دار الهجرة - وشدّت إليه الرّحال حتى اتّفقوا أنه هو المقصود بقوله عليه السلام عن أبي هريرة في الرّواية المشهورة: (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة)⁽²⁾.

لقد زخر المذهب المالكي بثروة فقهية وأصولية هائلة، فألفت فيه التّصانيف والتّوايف، وذيلت بالشروح والخواشي ممّا أدّى إلى تكريس الجهود من أجل نشر هذا التّراث الفقهي والأصولي، فكثرت التّخاريج والدّواوين وتعدّدت الاصطلاحات في أمّهات كتب المذهب، ومن ثمّ كان لا بد للعلماء أن يكشفوا الغطاء عنها ويقوموا بمهمّة

لقد استطاعت الأئمة الإسلامية أن تحافظ على دينها الذي كرّمها الله تعالى باتباعه وحمله، بفضل رجال ثقات عدول، خاصّة اصطفاهم الله - جلّ وعلا - وفضّلهم على كثير ممّن خلق تفضيلا، فحملوا هذا الدّين قرآنا وسنة وأراد الله بهم خيرا ففقههم فيه مصداقا لقوله عليه السلام (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدّين)⁽¹⁾.

أولئك الأئمة جمعوا أقوال من سلف وحفظوا فقههم واتّفاقهم واختلافهم، فخلف من بعدهم خلف اتّبعوا منهاج مدرّسيهم وأئمّتهم، فتأسّست إثر ذلك المذاهب الفقهية وتكوّنت أصولها، ومن بينها مذهب عالم المدينة مالك بن أنس رحمه الله.

الأخفش (ت285هـ).

كتاب في (غريب الموطأ)⁽⁷⁾: لأبي القاسم العثماني.

كتاب (التعليق)⁽⁸⁾: لابن السيد البطليوسي وهو كتاب في غريب الموطأ.

كتاب (الحدود في الأصول)⁽⁹⁾: لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت474هـ)، وهو كتاب مختصر اختصّ بنقل الحدود والمصطلحات الأصولية ثمّ شرحها وخاصة التي يسبب عدم تحديدها اختلافا كثيرا بين العلماء وجمع فيه ستة وسبعين مصطلحا أصوليا⁽¹⁰⁾.

كتاب: (التعليق على الموطأ) لأبي الوليد الوقشي (ت489هـ)⁽¹¹⁾ سار فيه مؤلفه على ترتيب أبواب الموطأ، حيث لا يذكر فيه الحديث كاملا، ولكنه كان يستطرد بذكر النّوادر والحكايات المستغربة.

كتاب: (شرح غريب الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني): للقاضي أبي بكر⁽¹²⁾ محمد بن عبد الله بن محمّد المعروف (بابن

الضبط وتجديد التلخيص والتّهذيب)⁽³⁾ وتوضيح غوامضها وتفصيل أحكامها، لهذا ألّف كتب عُنيَتْ بالبحث في المصطلحات دراسة وشرحا للألفاظ الغريبة الموجودة في تلك المصنّفات، أو كما سميت في التراث (كتب الغريب)، سأتكلم في هذه الحلقة إن شاء الله تعالى عن أبرزها على أن أتعرّض إلى خصوصية الاصطلاح في المذهب المالكي لاحقا.

المؤلفات الخاصة بمصطلحات الفقه وأصوله في المذهب المالكي:

كتاب (تفسير غريب الموطأ)⁽⁴⁾ لأبي عبد الله أصبغ بن الفرج (ت225هـ) لم أجد أية معلومات تبين منهجه سوى أنّه في تفسير غريب الموطأ.

كتاب في (تفسير غريب الموطأ)⁽⁵⁾ لعبد الملك بن حبيب السّلمي (ت238هـ)، سار فيه على ترتيب أبواب الموطأ، حيث يذكر فيه الحديث كاملا بسنده في الموطأ ولكلّ شيخ طريقه.

كتاب في (غريب الموطأ)⁽⁶⁾: ألفه عصريّ ابن الفرج أحمد بن عمران

العربي) الإشبيلي (ت 543 هـ) ⁽¹³⁾.

كتاب: (شرح غريب ألفاظ المدونة):
للجبي، والغريب عنده ما يحتاج
إلى زيادة إيضاح وبيان، فقد تتبّع
فيه الألفاظ اللغوية الواردة في كتاب
المدونة وشرحها حسب ورودها في
كتب أبواب المدونة.

كتاب: (الاقتضاب في غريب الموطأ
وإعرابه على الأبواب): ⁽¹⁴⁾ لأبي عبد
الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفرنى
النلمساني (ت 625 هـ). وهذا الكتاب
جزء مقتضب من كتاب المؤلف الكبير
(المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار)
بزيادات من التمهيد وغيره وذكر في كتب
المؤلفات (بغريب الموطأ).

سار المؤلف في شرحه هذا على
ترتيب أبواب الموطأ على رواية يحيى
ابن يحيى، والتزم فيه ذكر الباب بعد
الكتاب إلا الأبواب التي لم تشمل
على ألفاظ غريبة، وجل مادته منقولة
عن التعليق على الموطأ للوقشي ⁽¹⁵⁾ ثم
عن مشارق الأنوار للقاضي عياض

وأضاف إليهما ممّا جاء في الاستذكار
والتمهيد للحافظ أبي محمد بن عبد
البرّ (ت 463 هـ) والمنتقى للباقي فيه
إحالات كثيرة إلى كتابه المختار.

كتاب: (غرر المقالة في شرح غريب
الرسالة لابن أبي زيد القيرواني): لأبي
عبد الله محمد بن منصور بن حمّامة
الزناتي المغراوي السّجلماسي الذي
عاش بالتقريب في النصف الثاني من
القرن السادس ⁽¹⁶⁾.

شرح فيه المؤلف الألفاظ الغريبة
والمصطلحات الواردة في كتاب الرسالة
ورتبها وفق أبوابها حيث كان مولعاً بشرح
الغريب وتفسير العبارات الغامضة،
ويذكر له شرح لغريب الموطأ أسماه:
(الرّوض الأنيق) ⁽¹⁷⁾.

كتاب: تنبيه الطالب لفهم ابن
الحاجب ⁽¹⁸⁾ لأبي عبد الله محمد بن
عبد السلام بن يوسف بن كثير الهوّاري
التّونسي (ت 749 هـ).

وهو شرح لغوي واصطلاحي
لألفاظ كتاب جامع الأمّهات في فقه

مالك لأبي عثمان بن الحاجب، وهو مرتّب وفق حروف المعجم، وهو كما قال صاحب الشجرة: «بديع وهو بالنسبة للشّروح التي عليه كالعين من الحاجب»⁽¹⁹⁾.

كتاب: (كشف النقاب للحاجب من مصطلح ابن الحاجب)⁽²⁰⁾: لإبراهيم ابن علي بن فرحون (ت799هـ) ويعتبر هذا الكتاب مقدّمة شرح ابن فرحون المسمّى: (تسهيل المهمّات في شرح جامع الأمّهات)، أوحى له ابن عرّفة الورغمي باستقلاله عن الكتاب، شرح به مصطلحات ابن الحاجب وذلك بتقصّيها وضرب الأمثلة لها من الأبواب المختلفة واعتمد في ذلك على كثير من شراح جامع الأمّهات وعلى رأسهم ابن راشد وابن عبد السلام وخليل في توضيحه.

كتاب: (الحدود): لمحمد بن عرّفة الورغمي (ت803هـ) وهو كتاب مشهور، فهو عبارة عن التعريف لجملة من الأبواب الفقهية التي أوردها في كتابه المختصر في الفقه،

قصد به إلى ضبط المعاني الفقهية الفرعية أو تعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلّية، إذ كان يعزو ما يقدّمه من حدود ومن أقوال إلى أصحابها ويعدل عن غير الدقيق من التعاريف ويصوغ ما يراه أوفى وأسلم ويرى أن الحدود والرّسوم يجب أن تجري على القواعد الأصولية، وكان يستعمل المصطلحات المنطقية ويجري تعريفه في الغالب على مشهور المذهب⁽²¹⁾.

كتاب: (الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام بن عرّفة الوافية)⁽²²⁾ لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرّصاع (ت894هـ) المشهور بشرح حدود ابن عرّفة، ولقد ركّز الرّصاع في شرحه هذا على المسائل الغامضة والتي يتوقف فهم غيرها عليها، ولا يقتصر على هذا بل كان يمتد إلى سرد الأقوال الفقهية للمقارنة بينها حيث كان خبيراً بمواطن الإشكال وكان يخرج القواعد والضوابط الفقهية المتعلّقة بباب فقهي وقد أكمل شرح بعض المصطلحات على أصل ابن عرّفة

إلى ذلك فقد استدرك فيه الخطاب، وأضاف ستين مسألة من دقيق مسائل الفقه المالكي حرّر فيها ألفاظ المصطلح وعرض مواضع الخلاف بين الأئمة وذكر المعتمد في المذهب⁽²⁶⁾.

هذه هي أهم المصادر المالكية التي يمكن الرجوع إليها لفهم اصطلاح الفقهاء والأصوليين.

مميزا إياها عمّا ورد من ابن عرفة نفسه.

منظومة: (نظائر الرسالة):⁽²³⁾ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (ت919هـ)، حيث لم يتبع ابن غازي في تأليفه هذا ترتيبا معيّنا، ولكنه رتبّه إلى مجموعة مسائل كلّ مسألة يذكر فيها مجموعة من النظائر مبديا فيها الملاحظات على الرسالة، ومنها ما يتعلّق خصيصا بتحديد المصطلحات المستخدمة فيها، فهي بمثابة استقراء دقيق لما في الرسالة من أشباه ونظائر أينما وجدت في مختلف أبوابها⁽²⁴⁾.

كتاب: (تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة): لأبي عبد الله محمد بن محمد الخطاب (ت954هـ).

هذا الكتاب عبارة عن شرح لغوامض نظم ابن غازي وإشاراتِهِ إلى أحكام وأقوال في المصطلح والتي لا يدركها إلاّ العالم المتمرّس، فهو عبارة عن بسط لمجمل المنظومة وإيضاح لمبهمها، وبيان للنكت الفقهية الواردة فيها، وإضافة

الهوامش

- (1) حديث صحيح أخرجه البخاري في العلم؛ ومسلم في الزكاة والترمذي في العلم كذلك وقال عنه حديث حسن صحيح.
- (2) روي هذا الحديث عن ابن جريج ... عن أبي هريرة أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في عالم المدينة وقال حديث حسن صحيح ج 3/ص 380 من الجامع، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، وقال عنه القاضي عياض: (هذا الأثر مشهور صحيح مروي في ذلك من رسول الله ﷺ من حديث الثقات وقال فيه سفيان بن عيينه من غير طريق واحد، نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس (.) أنظر ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 1 / ص 82-83 بتصرف، تحقيق أحمد بكير محمود دار الحياة.
- (3) اصطلاح المذهب عند المالكية لمحمد إبراهيم أحمد علي ص 204.
- (4) الدياج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ص (158/159) تحقيق مأمون الجنان دار الكتب العلمية ط (1/1996م و ترتيب المدارك 1/561، ووفيات الأعيان لابن خلكان 1/240 تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.
- (5) الدياج ص 254 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف ص (74-75) دار الكتاب العربي
- (6) الترتيب 1/200
- (7) نفسه
- (8) الأعلام قاموس تراجم للزركلي 4/123، دار العلم للملايين بيروت لبنان 7/1986.
- (9) شجرة النور ص (120-121)، الترتيب ص 807، الدياج ص 200.
- (10) الحدود في الأصول للباحي تحقيق نزيه حماد مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - ط 1/1973م.
- (11) الاقتضاب في غريب الموطأ على الأبواب لعبد الحق التلمساني المقدمة، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان ط 1/1421هـ، 2001م. ص 37
- (12) شجرة النور الزكية ص 136
- (13) شرح غريب ألفاظ المدونة للجبي تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي ص 6، ولقد أغفل الجبي عن التحدث على هويته وشخصيته. وهذا ربما كان من باب التواضع كما ذكر ذلك المحقق في مقدمة التحقيق.

(14) الاقتضاب في غريب الموطأ على الأبواب المقدّمة.

(15) الاقتضاب ص 35.

(16) غرر المقالة في شرح غريب الرّسالة، مطبوع مع الرسالة الفقهية لأبي زيد القيرواني إعداد وتحقيق د/الهادي حمّو (و) د/ محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ط 1/1986م 1406 هـ.

(17) المصدر السابق مقدمة التحقيق ص 53.

(18) نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي ص 406، منشورات كلّية الدّعوة الإسلامية طرابلس؛ والأعلام 205/6

(19) شجرة النور ص 240.

(20) كشف الثّقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب لابن فرحون (ص 44-45)

(21) مقدمة تحقيق كتاب شرح حدود بن عرفة للرّصاع تحقيق محمد أبو الأجفان والطّاهر المعموري، دار الغرب

الإسلامي ط 1/1993

(22) شرح حدود بن عرفة المقدمة

(23) تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة للحطّاب، دراسة وتحقيق أحمد سحنون ط 1988 هـ المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(24) تحرير المقالة ص 86، نيل الابتهاج ص 583.

(25) المرجع السابق (ص 122/125).

(26) المرجع السابق من مقدمة التحقيق.